جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

صورة المرأة في الحكاية الصوفية في العصر العباسي

مشروع بحث مقدّم من الطالبتين

(زهراء عبد العالي) و (إخلاص محمد)

إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، لنيل شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابه

إشراف

أ.م.د ناهضة ستّار عبيد

١٤٣٩هـ **٢٠١**

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد عمّ بحكمته لوجود وشملت رحمته الوجود، نحمده سبحانه ونشكره بكل لسان محمود، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله.

وبعد:

فإننا اقترحنا موضوع (صورة المرأة في الحكاية الوصوفية في العصر العباسي) وكيف جاءت الحكايات التي تناولناها من الكتب التي اعتمدنا عليها في إنجاز البحث موضحة الموضوع فاستهوانا وأعجبنا لأنه موضوع جميل ومشوق ومفيد ، وحين نتناول الموضوع بالدراسة فإنّه سيزيد من معلوماتنا أكثر وأكثر.

ولقد تمّ تقسيم البحث على قسمين:

١- التمهيد: وقد كان على قسمين:

أ- مقدمة عن الصورة المعنوية في الحكاية الصوفية وقد تناولته الطالبة (زهراء عبد الميالي)

ب- مقدمة عن الصورة الحسّية في الحكاية الصوفية، وقد تناولته الطالبة (إخلاص محمد)

٢- المباحث: وكان عددها أثنين:

المبحث الأول عنوانه (الصورة المعنوية في الحكاية الصوفية) تناولته الطالبة (زهراء الميالي)

المبحث الثاني وعنوانه (الصورة الحسية في الحكاية الصوفية) تناولته الطالبة (إخلاص محمد).

أما أهم الصعوبات التي واجهتنا في البحث فهي قلة المصادر وضيق الوقت وقلة الخبرة في المجال فلو تمكنا من هذهِ الأمور لأنجزنا أفضل من هذا البحث.

وكان خير مساعد ومعين في البحث مشرفته الدكتورة ناهضة ستار عبيد لها كل الشكر و الاحترام.

نعلم أنّ هذا البحث لم يأخذ معنى الكمال والكمال لله وحده، وقد نقصه الكثير وهو جهد متواضع نسأل الله العظيم أن ينال رضاكم مع خالص الشكر والتقدير.

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما

يتذكر أولوا الألباب

صدق الله العلي العظيم

الزمر: ٩

الإهداء

إلى سندي وحامل همّي... أبي

إلى من أثقلت جفونها سهراً، وحمل فؤادها همّاً، وجاهدت الأيام صبراً... أُمي

إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية

أُهدي بحثي المتواضع.

المبحث الأول

الصورة المعنوية في الحكاية الصوفية

يعد الغزل في الشعر العربي قديما وحديثا في مقدمة الموضوعات التي شغلت وتشغل بال الشعراء الوجدانيين نظراً إلى الارتباط الحميم بين هذا الموضوع ووجدان الشاعر؛ ولأنّه يعتبر الصورة العاكسة لعالمه الداخلي والنفسي المرتبط أساساً بهذا الكون الخارجي، وينطبق هذا القول أيضاً على الشعر الجزائري الحديث الذي تناول موضوع الغزل يتميز بها شعرهم دون سواهم، وهذا سواء من حيث طريقة تناول الموضوع أم

من حيث أسلوبه وأدواته النفسية، ما أضفى على أشعارهم الجدة والتميز قياساً إلى الشعر الإصلاحي، الشعر الوجداني نجده يعود أساساً إلى مفهوم الشعر[١].

(إنّ أول ما يلفت انتباهنا لدى هذهِ الفئة من الشعراء الرومانسيين هم تقسيمهم لجمال المرأة، إلا أن صورة المرأة في أشعارهم تلبي طابعاً مختلفاً فهي تتجلى لنا في صورة روحية معنوية مبالغ فيها التي تجعل من هذا المخلوق الآدمي صورة روحية رائعة فهي تارة تتجلى في صور طيف حميم إلى قلب الشاعر بل إلى روحه، وطوراً آخر تغدو صورة الطين معبوداً مقدساً، فهذا الشاعر الرومانسي مبارك جلواح الذي يمثل شعره أحسن تمثيل الصور المعنوية للمرأة، هذهِ الصورة التي تحل دلالات نفسية عميقة في وجدان الشاعر الوجداني إلى المرأة التي تعتبرها إنساناً، فهذهِ الصورة معنوية عليها تحمل عمق إحساس الشاعر ونظرته إلى المرأة التي أصبحت تمثل بالنسبة إليه سر الحياة ونبعها، وتتجلى هذه الصورة المعنوية المذكورة في قصيدة جلواح المعنوية "أجارة روضة الخلد" بهذه الصورة المذكورة في النص يتضح لنا إن المواصفات الجمالية روحية معنوية، فهي العناصر الأساسية التي تشكل صورة المرأة الحبيبة لدى الشاعر، كما أن الشعور بالحرمان لدى الشاعر الرومانسي في حد ذاته هو الذي يفجر عواطفه وهو تحت تأثير معاناة نفسية)[٢].

(ولا يدع في أن يرى هؤلاء العاطفيون إن المرأة بطبيعتها أقرب إلى السماء؛ لأنها أكثر حساسية وأقوى شعور فهي أسمى مكانة في فلسفة تقوم على تقديس العاطفة كما يلجأ الرومانسيون بطبيعتهم إلى التعلق بعالم المثال والابتعاد عن عالم الواقع الذي هو عالم فانِ خدّاع وإنّ عالم المثال هو وحده عالم الخلود والحقيقة. نجد هذه الرؤيا،

---

[١] صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، عجناك يمينه بشي: ١٢٧

[٢] صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، عجناك يمينه بشي: ١٢٩- ١٣٠.

المثالية لتكون لدى الشاعر الرومانسي تنعكس وتتجدد في أشعاره. وصورته النفسية ونظرته إلى المرأة ومن خلال النصوص الشعرية التي تمثل الاتجاه الوجداني الرومانسي تتبنى مدى اهتمام الشاعر الوجداني بالمرأة المثال التي تتوق نفسه)[1]

نفهم ما سبق ذكره إنّ النظرة العاطفية للمرأة نظرة روحية حساسة وجدانية ورقيقة وليست نظرة جسدية وحسية فقط، بل هي حالة (هذه الحالة النفسية التي تسيطر على الشاعر ويعيشها باستمرار نستطيع أن نبررها بأنها حالة شعورية يحاول من خلالها أن يجد معادلاً موضوعياً وتعويضاً لما افتقده في الواقع ليستعيد توازنه النفسي من جهة إلى جهة أخرى، نلاحظ أن صورة الطيف التي لا تبرح خيال الشاعر فهي رغم ما تثيره لهم من شقاء فإنه يجد فيها العزاء والمواساة، وهكذا يضفي الشاعر جلواح على " صورة الطيف" صفة مثالية أخرى وهي صفة القدسية، هذه الصفة الروحية المعنوية التي كثيراً ما نجدها تتردد في أشعار الرومانسيين الذين بالغوا في وقع مكانة المحبوب حتى بلغت مصاف الآلهة لدى بعضهم ونسبوا إليها صفات روحية كادت تنفي تجسدها في اللحم والدم وكأنهم ينحتون من خيالهم)[2].

تمثل الصورة المعنوية في الحكاية الصوفية (عن أبي الدرداء رضي الله عنه إن كان يوماً جالساً فأتته امرأة فقالت: أتجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة من دقيق، فقال: يا هذه بين أيدينا عقبة عنوداً لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية، عن بعض الشيوخ الأكابر أنه جاءه إنسان فقال أدع الله لي فقد أخرني العيال

---

[1] صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، عجناك يمينه بشي: ١٣٠.

[2] صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، عجناك يمينه بشي: ١٣٢

فقال له الشيخ رضي الله عنه إذا قال لك عيالك ما عندنا دقيق ولا خبز فأدع الله فإنّ دعاءك منه دعائي لك في تلك الساعة)[1]

ظهرت الصورة المعنوية في هذه القصة الحكاية الصوفية في العصر العباسي (عن الشيخ أبي الربيع المالقي رضي الله عنه قال: سمعت امرأة عن الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبها ألا تزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة وقد اشتهر فيها وكانت تدعى بالفضة ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم فقالت نعم كانت لنا شوية ونحن قوم فقراء فقلت له يا رجل لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان يطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما قلوب المريدين وإذا طاب هما لم يغرهما حنين قلوب المريدين، رضي الله عنه امرأة اشتهت في بعض القري واشتهر تدعي الفضة قالوا لها نريد أن نرى هذه البركة قال لهم أن شويهة فقراء كان رجلها رجل صالح كان لهم المريدين طيب الحال طيب قلوبهم)[2].

يتضح من الحكاية أنها تتحدث عن امرأة صالحة لها كرامات وبركات يتبرك بها الناس من قولها وتظهر براعتها في الخطاب والمحاورة مع ضيوفها.

تمثل الصورة المعنوية الاهتمام برسم الصورة الذهنية يأتي في القصة(السرى رضي الله عنه قال كان لسرى تلميذة ولها ولد عند المعلم فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبي من الماء فغرق فأعلم المعلم بذلك فقال السرى قوموا بنا إلى أمه فمضوا إليها فتكلم السرى في علم الصبر ثم تكلم في علم الرضا فقالت يا أستاذ وأي شيء تريد بهذا فقال لها إن أبنك قد غرق، فقالت ابني فقال نعم، فقالت قوموا بنا فقاموا حتى

[1] روض الرياحين، عفيف الدين ابي السعادات: ١٧

[2] روض الرياحين: ٧٩–٨٠

انتهوا إلى النهر فقالت اين غرق فقالوا ههنا فصاحت به ابني محمد فأجابها لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده فمضت به إلى منزلها فالتفت السرى إلى الجنيد وقال أي شيء هذا قال الجنيد رضي الله عنه اقول قال، قلٌ قال: ان المرأة مراعية لما لله عز وجل وعليها حكم من كان مراعياً لله عز وجل)[1] كانت المرأة عنده ولد يذهب إلى المدرسة فغرق في الماء فنادوا امه وذهبت إلى النهر لتنقذه فصاحت بصوت عالي ونقذت ابنها من الغرق.

ظهرت في هذه القصة صورة المرأة المعنوية عن بنان الحمّال (رضي الله عنه) قال كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد فجائتني امرأة وقالت أنت يابنان حمال تحمل على ظهرك وتتوهم أنه لا يرزقك، قال فرميت بزادي ثم أتى علي ثلاث أيام لم آكل فوجدت خلخالاً في الطريق فقلت في نفسي أحمله حتى يأتي صاحبها فربما يعطيني شيئاً فإذا بتلك المرأة فقالت انت تاجر تقول يجيء صاحبه خذ منه شيئاً ثم رمت شيئاً من الدراهم وقالت انفقها فاكتفيت بها إلى القريب من مصر)[2]هنا صورة معنوية في هذه الحكاية وهي عن هذا الرجل وكيف أتته المرأة وقالت له أنك تتوهم أن الله لا يرزقك وكيف بعد ذلك وجد خلخالاً وكيف ظهرت له امرأة.

تظهر الصورة المعنوية في هذه القصة الصوفية:(روي إن أحد من الناس حضرته الوفاة فكان كلما قيل له قل لا إله إلا الله قال يا ربّ قائلة يوماً وقد تعبت أين الطريق إلى حمام منجاب، وذلك أن المرأة خرجت في بعض الأيام تريد حماماً يقال له بنجاب، فلم تعرف الطريق وتعبت من المشي فصادفت رجلاً على باب داره فسألته عن الحمام فقال هذا وأشار إلى داره فلما دخلت أغلقت عليها الباب فلما عرفت أنه قد خدعها

---

[1] روض الرياحين: ٨٠

[2] نفسه: ١١٥

أظهرت السرور وقالت اذهب هات لنا من السوق ما نطيب به وقتنا فبادر إلى ذلك وترك الباب مفتوحاً فخرجت بخديعة حتى تخلصت بها من خداعه الباطل بارك الله فيها وذلك بفضل الله عليها ، وحفظه إياها، فلما رجع الرجل على نية الفجور بها ولما لم يلق في بيته إلا الويل والثبور خرج على رأسه هائماً يدور وينشد البيت المذكور حتى جعله عوضاً عن شهادة (أن لا اله الا الله) وهو في غمرات الموت محضور من ذلك بالله الكريم الغفور)[1]، في هذه الحكاية صورة للمرأة المعنوية التي خرجت تريد حماما وكيف خدعها الرجل وعلمت بذلك وكيف تخلصت منه بفضل الله سبحانه وتعالى.

تمثل صورة معنوية في هذه القصة(حكى أن امرأة من المتعبدات يقال لها باهية لما أشرفت على الموت رفعت رأسها إلى السماء وقالت يا ذخري وذخيرتي، ومن عليه اعتمادي في حياتي ومماتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني في قبري فلما ماتت كان لها ولد يأتي قبرها في كل ليلة جمعة ويوم جمعة ويقرأ عند قبرها شيئاً من القرآن ويدعو لها ويستغفر لها ولأهل المقابر قال فرأيتها في المنام فسلمت عليها وقلت لها يا أماه كيف أنت وكيف حالك فقالت يا بني للموت كربة شديدة وانا بحمد الله في برزخ مفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم القيامة قال فكنت ازورها في كل ليلة جمعة وأقرأ عندها شيئاً من القرآن وأقول انس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وتقبل حسناتكم قال فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ بخلق كثير جاءوني فقلت من انتم وما حاجاتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئنا لنشكرك ونسألك الا

---

[1] روض الرياحين: ١٦٠.

تقطعنا)[1] نرى هنا أن المرأة في هذه الحكاية جمال التعبير عن المرأة العابدة وهي تناجي ربها وبعد الممات تظهر لنا جمال الفردوس والجنة لمن عبد ربه وأخلص.

(سمعت الأستاذ أبا عَلِيّ الدقاق رحمه اللَّه تَعَالَى ، يَقُول: أتى بشر الحافي بَاب المعافى بْن عمران فدق عَلَيْهِ الباب فقيل: من فَقَالَ: بشر الحافي. فَقَالَتْ لَهُ: بنية من داخل الدار لو اشتريت لَك نعلا بدانقين لذهب عَنْك اسم الحافي)[2] في هذه صورة المرأة المعنوية وهي حينما أتى بشر الحافي باب المعافي ودق عليه الباب فقيل له من أنت فأجاب، وكيف أن هذهِ البنية سمعته وقالت لو اشتريت نعلاً وهو رخيص لذهب عنك اسم الحافي.

ظهرت صورة المرأة المعنوية في هذه القصة في العصر العباسي (سمعت الأستاذ أبا عَلِيّ الدقاق رحمه اللَّه يَقُول: جاءت امْرَأَة فسألت حاتما عَن مسألة فاتفق أَنَّهُ خرج منها فِي تلك الحالة صوت فخجلت فَقَالَ حاتم: ارفعي صوتك فأرى من نَفْسه أَنَّهُ أصم فسرت المرأة بِذَلِكَ وَقَالَتْ: إنه لَمْ يسمع الصوت فغلبت عَلَيْهِ اسم الهم)[3].

هنا جاءت صورة المرأة المعنوية عن تلك المرأة التي أتت وعنما سألته عن تلك المسألة فخرج عنها صوت فخجلت، وبعد ذلك علمت أنه أصم ففرحت بذلك.

في هذا القصة ظهرت صورة للمرأة المعنوية (رجل لرابعة إني قَدْ أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت عَلِي يتوب عَلِي فَقَالَتْ لا بَل لو تاب عليك لتبت واعلم أَن اللَّه تَعَالَى قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[4] ومن قارف الزلة فَهُوَ من خطئه

---

[1] الرسالة القشيرية: ١٩٠

[2] الرسالة القشيرية، ابو القاسم عبد الكريم القشيري: ٤٩

[3] نفسه: ٦٣

[4] البقرة :٢٢٢

عَلَى يقين فَإِذَا تاب فَإِنَّهُ من القبول عَلَى شك لا سيما إِذَا كَانَ من شرطه وحقه أَن يَكُون مستحقا لمحبة الحق وإلى أَن يبلغ العاصي محلا يجد فِي أوصافه أمارة محبة اللَّه إياه مسافة بعيدة فالواجب إذن عَلَى العبد إِذَا علم أَنَّهُ ارتكب مَا تجب منه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار كَمَا قَالُوا استشعار الوجل إِلَى الأجل وَقَالَ عز من قائل: قل إِن كنتم تحبون اللَّه فاتبعون يحببكم اللَّه وَكَانَ من سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دوام الاستغفار، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه ليغان عَلَى قلبي فأستغفر اللَّه فِي اليوم سبعين مرة)[1].

وهذه الحكاية عن عائشة رضي الله عنها (حَدَّثَنَا يَحْيَي بْنُ يَعْلَى ، عَنْ أَبِي خَبَّابٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، فَقُلْتُ: أَخْبِرِينَا بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَة فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: وَأَيُّ شَأْنِهِ لَمْ يَكُنْ عَجَبًا إِنَّهُ أَتَانِي فِي لَيْلَةٍ فَدَخَلَ مَعِي فِي فِرَاشِي أَوْ قَالَتْ: فِي لِحَافِي حَتَّى مَسَّ جِلْدِي جِلْدَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي قَالَتْ: قُلْتُ: إِنِّي أُحِبُّ قُرْبَكَ. أَذِنْتُ لَهُ ، فَقَامَ إِلَى قِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ وَأَكْثَرَ صَبَّ الْمَاءِ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَبَكَى حَتَّى سَالَتْ دُمُوعَهُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ رَكَعَ فَبَكَى ثُمَّ سَجَدَ فَبَكَى، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَبَكَى فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى جَاءَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُبْكِيكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا وَلِمَ لا أَفْعَلُ وَقَدْ أَنْزَلَ عَلَيَّ: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ})[2]

(وحكى عَن بَعْضهم أَنَّهُ قَالَ: رأيت فِي بَعْض الأسفار شيخا كبيرا قَدْ طعن فِي السن فسألته عَن حاله فَقَالَ: إني كنت فِي ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وَهِيَ لي كَذَلِكَ

---

[1] الرسالة القشيرية: ٢١٤

[2] الرسالة القشيرية: ٣١١

تهواني فاتفق أَنَّهَا زوجت منى فليلة زفافها قُلْنَا: تعال حَتَّى نحيي هذه الليلة شكرا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا جمعنا فصلينا تلك الليلة وَلَمْ يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثَّانِيَة قُلْنَا: مثل ذَلِكَ فمنذ سبعين أَوْ ثمانين سنة نحن عَلَى تلك الصفة كُل ليلة أليس كَذَلِكَ يا فلانة؟ فَقَالَت العجوز: كَمَا يَقُول الشيخ)[1]

(وكان الجنيد قاعداً؛ وعند امرأته؛ فدخل عليه الشبلي؛ فأرادت امرأته أ، تستتر؛ فقال لها الجنيد :لا خبر للشبلي عنك؛ فاقعدي، فلم يزل يكلمه الجنيد؛ حتى بكى الشبلي؛ فلما أخذ الشبلي في البكاء قال الجنيد لامرأته :استتري، فقدأفاق الشبلي من غيبته)[2].

ظهرت الصورة المعنوية في هذهِ القصة والحكاية الصوفية في العصر العباسي (قال رجل لرابعة :إني أكثرت من الذنوب والمعاصي، فلو تبت هل يتوب علي؟ فقالت :لا بل لو تاب عليك لتبت)[3].

هنا صورة معنوية في هذهِ الحكاية وهي تتحدث عن المعاصي والذنوب وكيف يتوب الله عليه.

ظهرت الصورة المعنوية للمرأة هنا (يقول :رأيت رجلاً يعرف بجمل عائشة مع الشطار يضرب بالسياط، فقلت له :أي وقت يكون ألم الضرب عليكم أسهل؟ فقال :إذا كان من ضربنا لأجله يرانا)[4].

وجدنا صورة معنوية في هذه القصة(يقول :سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول: ركب علي بن عيسى الوزير في موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون :من هذا؟ من هذا؟

---

[1] نفسه: ٣٣٤

[2] القشيرية ٧٧

[3] نفسه:١٠٠

[4] القشيرية: ١٥١.

فقالت امرأة قائمة على الطريق :إلى متى تقولون من هذا؟ من هذا؟ !هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بما ترون. فسمع على بن عيسى ذلك، فرجع إلى مترله واستغنى عن الوزارة)[١].

هنا الصورة المعنوية وهي عن العبد كيف سقط من عين الله وابتلاه.

(ويحكي عن أبي محمد المرتعش، أنه قال :حججت كذا، وكذا حجة على التجريد، فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً بحظي؛ وذلك :أن والدتي سألتني يوماً أن أستقي لها جرة ماء فثقل ذلك على نفسي، فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت لحظ، وشوب لنفسي، إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ماهو حق في الشرع[٢]).

هنا صورة معنوية وهي تحدث عن ذلك الرجل الذي حج عدة مرات وعلم أنه غير مقبول منه لأنه لم يبر والدته.

ظهرت الصورة المعنوية (كانت امرأة قد طعنت في السن، فسئلت عن حالها، فقالت : كانت في حال الشباب أجد من نفسي نشاطاً وأحوالاً؛ أظنها قوة الحال، فلما كبرت زالت عني، فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب، فتوهمتها أحولاً)[٣].

صورة معنوية في هذه الحكاية وهي تحدث عن ذلك الشباب وكيف في هذه الحكاية ان المرأة كانت في شبابها نشيطة وكيف زال هذا النشاط والقوة عندما كبرت فعلمت قوة الشباب.

---

[١] القشيرية ١٠٠.

[٢] نفسه: ١٠٢.

[٣]الرسالة القشيرية: ١٠٢

ظهرت الصورة المعنوية في هذا النص (وحكي عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال : ماتت أمي ..فورثت منها داراً، فبعتها بخمسين ديناراً..وخرجت إلى الحج، فلما بلغت باب استقبلني من واحد القناقنة وقال :ما معك؟ فقلت في نفسي الصدق خير ثم قلت : خمسون ديناراً .فقال : ناولنيها فناولته الصرة ..فعدها؛ فإذا هي خمسون ديناراً فقال: حدثها؛ فلقد أخذني صدقك ثم نزل عن الدابة، وقال :أركبها .فقلت :لا أريد !فقال لابد وألحَّ علي فركبتها فقال :وأنا على أثرك فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمني حتى مات)[1]

هنا صورة معنوية تتحدث عن هذا الرجل وكيف تحدث عن أمه وقال أنها ماتت وورث عنها داراً، ثم باعها وكيف ذهب للحج وما حدث معه.

(وقيل :جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت :إنا نغزل على سطوحنا، فتمر بنا مشاعل الظاهرية، ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟

فقالت :أخت بشر الحافي فبكي أحمد وقال :من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعها)[2]

هنا صورة معنوية في هذه الحكاية عندما سألت هذه المرأة هل يجوز لها الغزل في شعاعها وكيف أجابها الرجل عندما علم أنها أخت بشر الحافي قال لها لا تغزلي.

(عن عائشة، قالت :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" :إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم، فقلت :بأبي وأمي يا رسول الله،

---

[1] نفسه: ١٨٨

[2] القشيرية: ١١٠

أو يضحك ربنا عز وجل؟ فقال" :والذي نفسي بيده إنه ليضحك، فقالت :لا يعدمنا خيراً إذا ضحك)[1]"

هنا صورة معنوية تتحدث عن عائشة عندما قالت عن الرسول وكيف يضحك الله من يأس العباد وكيف تعجبت من ذلك فقال لها أنه ليضحك.

(وروي عن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي أنه قال :رأيت جنازة يحملها ثلاثة من الرجال وامرأة، قال فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة، فصلينا عليها، ودفناها، فقلت للمرأة، من كان هذا منك؟ فقالت: ابني قلت :أو لم يكن لك جيران؟ قالت :نعم، ولكنهم أسفروا أمره. فقلت :وإيش كان هذا؟ فقالت :مخنثاً؟ قال :فرحمتها :وذهبت بها إلى منزلي، وأعطيتها دراهم، وحنطة)[2]

هنا صورة معنوية تتحدث عن تلك الخبازة وكيف أنها كانت امرأة وحيدة وليس معها أحد.

(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق، رحمه الله، يقول :مر أبو عمر البيكندي يوماً بسكة، فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة، لفساده، وامرأة تبكي، قيل إنها أمه، فرحمها أبو عمر فتشفع له إليهم وقال :هبوه مني هذه المرة، فإن عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه، فمضى أبوعمرو، فلما كان بعد أيام، اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب، فقال في نفسه :لعل الشاب عاد إلى فساده، فنفي من المحلة. فدق عليها الباب، وسألها عن حال الشاب؛ فخرجت العجوز وقالت له :إنه مات فسألها عن حاله، فقالت، لما قرب أجل، قال :لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم، وإنهم يشتمون في، ولا يحضرون جنازتي، وإذا دفنتني، فهذا خاتم لي مكتوب عليه" بسم الله "

---

[1] نفسه ١٢٧

[2] القشيرية: ١٢٩

فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي عز وجل قالت :ففعلت وصيته فلما انصرفت عن رأس قبره، سمعت صوته يقول :انصرفي يا أماه؛ قدمت على رب كريم.)[1]

هنا صورة للمرأة المعنوية وهي أم لذلك الولد الذي عرف الفساد.

("جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة؟." قالت :قرص خبزته، ولم تطب نفسي حتى أتيتك ذه الكسرة فقال :أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام وفي بعض الروايات : جاءت فاطمة، رضي الله عنها، بقرص شعير)[2]

هنا صورة معنوية تتحدث عن فاطمة عليها السلام عندما كانت تأتي الرسول بقرص خبز حتى يأكله ولم تطب نفسها حتى يأكلها.

جسدت الصورة المعنوية في هذه القصة (ويحكى عن بنان أنه أحتاج إلى جارية تخدمه، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها، وقالوا :هو ذا، يجيء النفر فتشتري ما يوافقك فلما ورد النفر، اجتمع رأيهم على واحدة، وقالوا :إنها تصلح له فقالوا لصاحبها : بكم هذه؟ فقال :إنها ليست للبيع :فالحوا عليه، فقال :إنها لبنان الحمال، أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان، وذكرت له القصة)[3]

---

[1] القشيرية: ١٢٩

[2] نفسه: ١٣٢

[3] القشيرية: ١٥٥

(وقيل :كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر فأظهر قومها السرور، والعجوز تبكي، فقيل لها :ما يبكيك؟ فقالت :ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى)[١]

هنا صورة معنوية تتحدث عن تلك المرأة التي تبكي فسألوا عن سبب بكائها فقالت: ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله تعالى.

(عبد الرحمن بن أحمد يقول:سمعت أبي يقول :جاءت امرأة إلى تقي بن مخلد، فقالت :إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة، ولا أقدر علي بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار !! فقال لها :نعم، أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله تعالى، قال :فأطرق الشيخ وحرك شفتيه، قال :فلبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، وأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به فقال الشاب :كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم .فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا علينا قيودنا. قال :فأطرق الشيخ وحرك شفتيه، قال :فلبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، وأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به .فقال الشاب :كنت في يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم .فكان يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا علينا قيودنا.

فبينا نحن نجيء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض، وصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة، ودعا الشيخ، قال :فنهض إلى الذي كان يحفظني وصاح علي وقال لي :كسرت القيد !!قلت :لا، إنه سقط من رجلي قال :فتحير ..وأحضر أصحابه، وأحضروا الحداد، وقيدوني ..فملا مشيت خطوات سقط القيد من رجلي، فتحيروا في

---

[١] نفسه: ٢٧٩

أمري!!فدعوا رهبانا ، فقالوا لي :ألك والدة؟ قلت :نعم فقالوا :وافق دعاؤها الإجابة .وقد أطلقك الله عز وجل، فلا يمكننا تقييدك)[1]

هذه الحكاية تتحدث عن تلك المرأة وكيف أتت هذا الرجل وشكت الحال عنده عن ولدها الذي أسرته الروم

صورة معنوية ظهرت في هذه الحكاية (كان أبو العباس الدينوري يتكلم يوماً في مجلسه ..فصاحت امرأة تواجداً، فقال لها :موتي ..فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت :قد متّ ووقعت ميتة)[2]

(سمعت أبا عبد الله المكانسي يقول :كنت عند الجنيد؛

فأتت امرأة إليه وقالت :ادع الله أني رد علي ابني :فإن ابناً لي ضاع فقال لها :اذهبي واصبري، فمضت، ثم عادت فقالت له مثل ذلك، فقال لها الجنيد: اذهبي واصبري، فمضت ثم عادت، ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها: اصبري، فقالت له :عيل صبري، ولم يبق لي طاقة عليه، فادع لي .فقال لها الجنيد :إن كان الأمر كما قلت فاذهبي، فقد رجع ابنك، فمضت، فوجدته، ثم عادت تشكر له فقيل للجنيد :بم عرفت ذلك؟ فقال :قال الله تعالى" :أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)"[3]

هذه الحكاية تتحدث عن تلك المرأة وكيف أتت لهذا الرجل فطلبت منه أن يدع الله أن يرد لها ابنها

---

[1] القشيرية: ٢٣١

[2] القشيرية: ٢٠٦

[3] الرسالة القشيرية ٢٢٦

ظهرت الصورة المعنوية في هذه القصة في الحكاية الصوفية في العصر العباسي(قيل :كان صالح المري يقول كثيراً :من أدمن قرع باب يوشك أن يفتح له . فقالت له رابعة :إلى متى تقول هذا؟ متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح؟ فقال صالح : شيخ جهل وامرأة علمت)[1]

يتضح من هذه الحكاية أنها تتحدث عن رحمة الله وصورها كأنها باب وأن هذه الرحمة لا تغلق لأن الله غفور رحيم.

(دخل أبو عبد الله الروزباري دار بعض أصحابه، فوجده غائباً، وباب بيت له مقفل، فقال :صوفيٌ وله باب بيت مقفل !!كسروا القفل، فكسروا القفل وأمر بجميع ما وجد في الدار والبيت، وأنفذه إلى السوق، وباعوه، وأصلحوا وقتاً من الثمن، وقعدوا في الدار ..فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئاً فدخلت امرأته بعدهم الدار، وعليها كساء، فدخلت بيتاً، ورمت الكساء، وقالت :يا أصحابنا، هذا أيضاً من جملة المتاع فبيعوه .فقال الزوج لها :لِم تكلفت هذا باختيارك؟ فقالت له :اسكت، مثل هذا الشيخ يباسطنا، ويحكم علينا، ويبقى لناشيء ندخره عنه؟ وقال بشر بن الحارث : النظر إلى البخيل يقسى القلب)[2]

تمثلت الصورة المعنوية هنا في هذه الحكاية عندما دخل دار أصحابه ووجده غائبا عن الوعي وكيف أمر بكسر القفل وأنه جمع ما في الدار وباعه.

(وقيل :أتى رجل صديقاً له، ودق عليه الباب، فلما خرج إليه قال :لماذا جئتني؟ قال لأربعمائة درهم دين ركبتني، فدخل الدار، ووزن له أربعمائة درهم وأخرجها إليه، ودخل

---

[1] نفسه: ٢٢٩

[2] القشيرية: ٢١٦

الدار باكياً، فقالت له امرأته :هلا تعللت حين شق عليك الإجابة؟ !فقال :إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتحتي به.)[1]

هنا صورة معنوية عما قلنا في هذه الحكاية التي تحكي قصة هذا الرجل وكيف أتاه صديقاً له يطلب منه أموالاً، وكيف تأثر وبكى هذا الرجل لأنه لم يتفقد حال صديقه.

(وقيل :خرج إنسان يدعى الفتوة من نيسابور إلى نسا فاستضافه رجل، ومعه جماعة من الفتيان، فلما فرغوا من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم، فانقبض النيسابوري عن غسل اليد، وقال :ليس من الفتوة أن تصب النسوان الماء على أيدي الرجال !!قال واحد منهم :أنا سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أن امرأة تصب الماء على أيدينا أم رجلاً)[2].

تتحدث هذه الحكاية عن رجل يدعي النبوة فاستضيف في دار رجل ولما فرغ من الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فلم يقبل بذلك وإن الجماعة الذين معه واحد منهم قال لم أعلم أن امرأة تصب الماء.

(وقال إبراهيم الخواص :دخلت البادية، فأصابتني شدة، فلما بلغت مكة، داخلني شيء من الإعجاب، فنادتني عجوز :يا إبراهيم، كنت معك في البادية فلم أكلمك؛ لأني لم أرد أن أشغل سرك أخرج عنك هذا الوسواس)[3]

---

[1] نفسه: ٢١٦

[2] القشيرية: ٢٠١

[3] الرسالة القشيرية: ٢٠٩

تتضح من هذه الحكاية أنها تتحدث عن رجل كان في البادية وكيف التقى بتلك العجوز وكيف لم تكلمه لأنها أرادت أن لا تشغله.

وجدت صورة معنوية في هذه القصة الصوفية (قيل :نزل معروف الكرخي الدجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته، فجاءت امرأة وحملتهما، فتبعها معروف، وقال :يا أختي، أنا معروف ولا بأس عليك، ألك ابن يقرأ؟ قالت :لا .قال :فزوج؟ قالت :لا، قال :فهاتي المصحف وخذي الثوب)[1]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (قال :دخلت على عائشة، رضي الله عنها، مع عبيد بن عمير، فقلت :أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله، صلى الله عليه وسلم.فبكت، وقالت :وأي شأنه لم يكن عجباً؟..إنه أتاني في ليلة ..فدخل معى في فراشي، أو قالت :في لحافي: حتى مس جلدي، ثم قال :يا بنت أبي بكر، ذريني اتعبد لربي قالت :قلت :إني أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة من ماء .فتوضأ وأكثر صب الماء ..ثم قام يصلي فبكى، حتى سالت دموعه على صدره ..ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى .فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة فقلت له :يا رسول الله، ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ !فقال :أفلا أكون عبداً شكوراً؟)[2]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (أحمد بن خضرويه لامرأته أم علي :أريد أن أتخذ دعوة أدعو فيها عياراً شاطراً كان في بلدهم رأس الفتيان. فقالت :امرأته :إنك لا تدي إلى دعوة الفتيان .فقال :لابد فقلت :إن فعلت فاذبح الأغنام وألحمر، وألقها من

---

[1] نفسه: ٢١٢

[2] القشيرية ١٥٨

باب دار الرجل إلى باب دارك فقال :أما الأغنام والبقر فأعلم .فما بال الحمر ؟ فقالت :تدعو فتى إلى دارك، فلا أقل من أن يكون لكلاب المحلة خير.)[1]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (وحكي عن عطاء الأزرق :أنه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها؛ ليشتري لهم شيئاً من الدقيق، فخرج من بيته، فلقي جارية تبكي، فقال لها :ما بالك؟ فقالت :دفع إلي مولاي درهمين اشتري لهم شيئاً.فسقطا مني فأخاف أن يضربني !!فدفع عطاء الدرهمين إليها .ومر .وقعد على حانوت صديق له ممن يشق الصاج وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته .فقال له صاحبه :خذ من هذه النشارة في هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها في سحر التنور؛ إذ ليس يساعدني الإمكان في شيء آخر ..فحمل النشارة، وفتح باب داره، ورمى بالجراب، ورد الباب ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة؛ ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة، فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز؛ فقال :من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا :من الدقيق الذي كان في الجراب .لا تشتر من غير هذا الدقيق !قال : أفعل إن شاء الله)[2]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (وقيل :اشترى رجل مملوكة، فلما دخل الليل قال : افرشي الفراش .فقالت المملوكة :يا مولاي، ألك مولى؟ قال :نعم، فقالت :ينام مولاك؟ فقال :لا .قالت :ألا تستحي أن تنام ومولاك لا ينام !!وقيل :قالت بنية لسعيد بن جبير :لم لا تنام؟ فقال :إن جهنم لا تدعني أن أنام)[3].

---

[1] نفسه: ٢٠٠

[2] القشيرية: ٣١٢

[3] نفسه: ٣٢٥

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (وكان أبو عبيد البسري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً، ويقول لامرأته:طبني على الباب، وألقي إليّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب، ولا نام، ولا فاتته ركعة من الصلاة)[1]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (وحكي أن السري لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها .فأبطأت يوماً، فقال لها السري :لم أبطأت؟ !فقالت :لأن غزلي لم يشتر، وذكروا أنه مخلط .فامتنع السري عن طعامها ثم إن أخته دخلت عليه يوماً فرأت عنده عجوزاً تكنس بيته، وتحمل إليه كل يوم رغيفين فحزنت أخته وشكت من أكل طعامها قيض الله لي الدنيا لتنفق علي وتخدمني)[2]

وجدت صورة معنوية في هذه القصة (عبد الواحد بن بكر الورثاني يقول :سمعت محمد بن علي ابن الحسين المقري بطرسوس يقول :سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول :اشتهت والدتي على والدي يوماً من الأيام سمكاً، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه، فاشترى سمكاً، ووقف ينتظر من يحمله، فرى صبياً وقف بحذائه مع صبي فقال : يا عم، تريد من يحمله؟ فقال :نعم، فحلمه ومشى معنا، فسمعنا الأذان، فقال الصبي : أذنّ المؤذن، واحتج أن أتطهر وأصلي، فإن رضيت، وإلا فأ؛مل السمك، ووضع الصبي السمك ومر)[3]

---

[1] نفسه: ٣٠٦

[2] الرسالة القشيرية: ٣١١

[3] نفسه: ٣١٤

المبحث الثاني

الصورةُ الحسّية في الحكايةِ الصوفية

تعد الصورة الحسية هي تلك الصورة التي يكون فيها التصوير حسياً ملموساً وذلك بذكر جمال ومفاتن المرأة والتغزل بها بصورة مباشرة والمعلوم أن الصورة المعنوية أليق وأجمل وأرشق وأكثر تقبّلاً للنفس من الصورة الحسية[1]؛ لأن الصورة الحسية ترسم مفاتن المرأة والتغزل بها؛ لأن مفاتنها تثير الرجال ومفاتن النساء كثيرة تظهرها لإغواء الرجال وعمل الفاحشة التي لا ترضي الله ولا تليق بمجتمع محافظ، وهنالك الكثير من المجتمعات الغير محافظة تنتشر فيها الفاحشة نتيجة عدم وجود المراقبة ، فكثير من النساء تظهر مفاتنها لتثير الرجال بما لديها من جمال وحسن وغيره تستعمله لإغراء الرجال، إذن فالجمال عند المرأة وما يحمل من جمال الوجه والشعر وغيرها كلها

---

[1] الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، محمد الوالي: ٦٩.

تصور صورة حسية محسوسة وملموسة وكلها تثير الغرائز، إذن فالصورة الحسية غير محببة وغير مرغوبة مثلما هي الصورة المعنوية لأن الصورة المعنوية تكون أجمل وأليق من الحسية[١]، أما الشعراء كان لهم نصيب كبير من الصورة الحسية وتتمثل في الغزل الذي اشتهر به كثير من الشعراء[٢]، والغزل أنواع منه الغزل العذري وهنا الصورة في هذا الغزل تكون لطيفة لائقة لأن الغزل الفاحش والمادي هو ذلك الغزل الذي تكون فيه الصورة حسية غير لائقة ولا مرغوبة[٣]؛ لأنه يصور المرأة بصورة متهتكة مبتذلة رخيصة، ويصور الفاحشة ، فهو يرسم مفاتن النساء ويتغزل بها علناً ويصورها مباشرة ولا يتحرج من ذلك ، وقد ظهر الغزل بالمؤنث في العصر العباسي الأول(أما الغزل بالمؤنث فيكاد مع أنه عرض قديم يكون كله إباحياً في هذا العصر وماذا ننتظر من مجتمع تشيع فيه مفاتن المدنية ومفاسد الحضارة وتنتشر مجالس اللهو والعبث والمجون، ألا نشعر فيه بالشهوات وتثور الغرائز، وتتفتح مغالق الميول والنزوات)[٤].

وفي العصر العباسي انتشر شعر الغزل الماجن كثيراً وقل الشعر العذري[٥]، ففي هذين النوعين من الغزل توجد صورة حسية ففي شعر الغزل العذري صورة حسية عفيفة محببة أما في الغزل الماجن فصورته غير مرغوبة مبتذلة (واسلوب الغزل يمتاز بجماله وسلاسته وعذوبته لما لا يصلح شيء منه في مواقف الجد وأوصاف الحرب)[٦]،

---

[١] الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عهود عبد الواحد: ٣٤.

[٢] النثر الصوفي ، فائز طه عمر

[٣] أدب الفلاسفة العرب، رياض شنته جبر: ٥٥.

[٤] تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، محمد عبد المنعم خفاجي: ٩٦.

[٥] الحواسية في الأشعار الأندلسية: يوسف عبد : ١١٥

[٦] ينظر: تاريخ الأدب العباس : ٩٧

من ذلك كله نفهم أن الصورة الحسية هي تلك الصورة التي تحمل في طياتها ما هو محسوس ملموس من ذلك الجمال[1]،

الحكاية الأولى: تمثلت الصورة الحسية هنا في هذهِ الحكاية وهي عن الجديري أنه قال(سمعت الجنيد يقول يوماً على السرى قسطي وهو يبكي فقلت له : ما يبكيك؟ فقال جاءتني البارحة الصبية فقالت: يا ابني هذه ليلة حارة وهذا الكوز اعلقه ها هنا ، ثم اني حملتني عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء فقلت لمن انت؟ فقالت : " لمن لا يشرب الماء المبرج من الكيزان فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرته ، فرأيت الخذف لم يدفعه ولم يمسه حتى عفا عليه التراب)[2]

[1] الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث: ٧٨.

[2] الرسالة القشيرية: ١٨

في هذه الحكاية التي ذكرناها عن الحريري فيها صورة حسية وهذه الصورة تمثلت في هذه الصبية التي ذكرت هنا وهي تبكي وعن الجارية التي في المنام وقال انها من احسن الخلق فهنا صورة حسية في هذه الحكاية.

أما في الحكاية الثانية التي يذكرها لنا محمد بن عبد العزيز الطبري فقد ذكر المرأة هنا ذكر عابر وهو يقول فيها: (سمعت أبا عمر الدمشقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول قلت لأبي وأمي أحب ان تهباني لله عز وجل فقالا قد وهبناك لله عز وجل)[1] هنا ذكر للمرأة بدور الأم لكنه لم يذكر دورها بالكامل فقد ذكرها هنا بكونها واحدة ممن يستجيب لدعائهم الله سبحانه وتعالى وذلك لمنزلتها العظيمة لكونها أم.

الحكاية الثالثة : في هذه الحكاية تظهر لنا صورة المرأة الحسية أيضاً التيهي عن المنصور المغربي يقول: (واى بعض الفقراء حياً من احياء العرب فأضافه شاب فبينما هو في خدمة هذا الفقير غشي عليه فسأل هذا الفقير عن حاله فقالوا: له بنت عم وقد علقها فمشت في خيمتها فرأى غبار ذيلها فغشي عليه، فمضى هذا الفقير إلى باب الخيمة وقال: إن للغريب فيكم حرمة وذماما وقد جئت مستشفعاً في أمر هذا الشاب فتعطي من هواك فقالت: سبحان الله انت سليم القلب انه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي)[2]

هنا صورة حسية في هذه لحكاية متمثلة في صورة هذا الشاب الذي وقع أسير حب ابنة عمه وقد تعلق بها كثيرا وما لهذا الحب من عذاب وألم في قلبه.

الحكاية الرابعة: الصورة الحسية تمثلت هنا عن كيد النساء وبلاءهن والحكاية هنا كان يستشهد بها على التلوين والتمكين بقصة يوسف عليه السلام :(أن النسوة اللاتي رأين

---

[1] نفسه: ٣٧

[2] القشيرية: ٨٢

يوسف عليه السلام قطَّعن أيديهن لما ورد عليهن من شهود يوسف عليه السلام على وجه الفجأة وامرأة العزيز كانت أتمَّ في بلاء يوسف منهن، ثم لم تتغير عليها شعرة ذلك اليوم، لأنها كانت صاحبة تمكين في حديث يوسف عليه السلام)[1].

في هذه الحكاية صورة حسية تمثلت عن النساء وكيدهن وكيف يعملن على إغواء الرجل وهذه الحكاية تمثلت في قصة النبي يوسف عليه السلام وملاحقة النساء له وكيف إنّ امرأة العزيز كانت من اشدهن بلاء وكيداً.

الحكاية الخامسة (كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً .فتسارعت حتى أدركته، فإذا هي امرأة بيدها عكاز، تمشي على التؤدة ..فظننت أنها أعيت، فأدخلت يدي في جيبي، فأخرجت عشرين درهما، فقلت : خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة ثم ائتيني الليلة حتى أصلح أمرك. فقالت بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير، فقالت :أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب)[2] هنا صورة المرأة الحسية في هذه الحكاية التي هي عن رجل رأى احد أمامه في الطريق هي عجوز وهذه العجوز هنا تحمل عكاز تتكأ عليه فإن الكبر أعياها واتعبها وكيف هو حاول مساعدتها.

الحكاية السادسة: صورة حسية هنا أيضاً في هذهِ الحكاية وهذهِ الحكاية عن بعضهم أنّه قال: (رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله، فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي؛ وهي كذلك كانت تهواني؛ فانفق أنها تزوجت مني، فليلة زفافها قلنا :تعال :حتى تحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة، ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل

---

[1] نفسه: ٨٦

[2] نفسه: ١٥٣

ذلك فمنذ سبعين؛ أو ثمانين سنة، نحن على تلك الصفة كل ليلة :أليس كذلك يا فلانة، فقالت العجوز :كما يقول الشيخ)[١].

هنا صورة حسية في هذهِ الحكاية التي تتحدث عن الحب اتجاه النساء وكيف أن هذا الرجل أحب ابنة عم له وتزوجا ولكنه لم يمسها لأنهما قضيا العمر في ذكر الله لجمعهما معاً.

الحكاية السابعة: الصورة الحسية ظهرت في هذهِ الحكاية التي تتحدث عن جمال المرأة وحسنها وهذه الحكاية متمثلة في حديث الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله :إمام عادل، وشاب نشأ في عبادةِ الله تعالى .ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله تعالى خالياًففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال :إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.")[٢]، في هذا الحديث الشريف تحدث الرسول عن سبعة أشخاص يظلهم الله في ظله ومن هؤلاء السبعة رجل تدعوه امرأة ذات حسن وجمال فقال لها إني أخاف الله تعالى هنا صورة حسية في هذا الحديث عندما تحدث عن جمال المرأة وحسنها وكيف أرادت استخدم جمالها.

الحكاية الثامنة: (وحكي عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال :ماتت أمي ..فورثت منها داراً، فبعتها بخمسين ديناراً..وخرجت إلى الحج، فلما بلغت باب استقبلني من واحد القناقنة وقال :ما معك؟ فقلت في نفسي :الصدق خير ..ثم قلت :خمسون ديناراً .فقال :

---

[١] القشيرية: ١٦١

[٢] الرسالة القشيرية: ١٧٦

ناولنيها .فناولته الصرة ..فعدها؛ فإذا هي خمسون ديناراً .فقال:حدثها؛ فلقد أخذني صدقك .ثم نزل عن الدابة، وقال :أركبها .فقلت :لا أريد !فقال لابد .وألحَّ علي.

فركبتها .فقال :وأنا على أثرك. فلما كان العام المستقبل لحق بي، ولازمني حتى مات)[١]، في هذه الحكاية ذكرت المرأة بصورة عابرة وسريعة ولم يتطرق لذكر ما يخصها وما لها وما عليها من حقوق وواجبات فذكرها هنا بكونها أم، ولم يذكر دورها فهو ذكر هنا فقط إن امه ماتت وورث منها دراراً ثم تحدث بعد ذلك كيف باعها وقبض ثمنها وأكمل الحديث عن ذلك ولم يعد لذكر امه مرة أخرى.

الحكاية التاسعة: صورة حسّية هنا في قوله تعالى " ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه" البرهان :أنها ألقت ثوباً على وجه صنم في زاوية البيت، فقال يوسف عليه السلام :ماذا تفعلين؟ فقالت استحي منه، قال يوسف عليه السلام :أنا أولى منك أن أستحي من الله تعالى)[٢]

الحكاية العاشرة: تمثلت الصورة الحسية في هذه الحكاية وهي عن الزواج وعلاقة الرجل بالمرأة وهذهِ الحكاية هي (تزوج رجل بامرأة ..فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجدري، فقال الرجل :اشتكت عيني، ثم قال: عميت، فزفت إليه المرأة ..ثم ماتت بعد عشرين سنة ..ففتح الرجل عينيه، فقيل له في ذلك فقال :لم أعم، ولكن تعاميت حذار أن تحزن، فقيل له :سبقت الفتيان)[٣].

في هذه الحكاية صورة حسية وهي تتكلم عن رجل تزوج بامرأة وهذهِ المرأة قد أصيبت بمرض قبل الدخول بها ليلة زواجها وكيف هذا الرجل تعامى عمداً.

---

[١] القشيرية: ١٨٨

[٢] نفسه: ١٩١

[٣] القشيرية: ٢٠٠

الحكاية الحادية عشر: رسمت الصورة الحسية هنا هذه الحكاية وهي عن امرأة جارية وضيئة الوجه عن منصور المغربي أنه قال:(اراد واحد أن يمتحن نوحاً النيسابوري العيار ..فباع عنه جارية في زي غلام، وشرط أنه غلام، وكانت وضيئة الوجه، فاشتراها نوح علي أ�ا غلام، ولبثت عنده شهوراً كثيرة، فقيل الجارية :هل علم أنك جارية؟ فقالت :لا، إنه ما مسني، وتوهم أني غلام)[1].

هذه الحكاية تحمل صورة حسية عن هذه الجارية التي ذكرها وهذه الجارية هي وضيئة الوجه وكيف أنها تخفت في زي غلام حتى يمتحنوا بها هذا الرجل الذي لم يعلم أنها جارية، لأنها كانت وضيئة لوجه لا تحمل جمال النساء لذلك توهم أنها غلام ولم يعرف أنها جارية.

الحكاية الثانية عشر: في هذه الحكاية تم ذكر المرأة بشكل عابر وهذه الحكاية هي (كان بين زكريا الشختني وبين امرأة سبب قيل توبته، فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عثمان الحيري، بعدما صار من خواص تلاميذه، فتفكر في شأنها، فرفع أبو عثمان رأسه إليه وقال :أما تستحي؟!)[2]

وهنا ذكرت المرأة بصورة عابرة في هذه الحكاية أي انه لم يتطرق للحديث عنها كثيراً فقد ذكرت سريعاً هنا ولم يتطرق للكلام عنها.

في هذه الحكاية أيضاً ذكرت المرأة بصورة عابرة والحكاية هي: (وحكى أن الفرغاني كان يخرج كل سنة إلى الحج، ويمر بنيسابور، ولا يدخل علي أبي عثمان الحيري قال :فدخلت عليه مرة، وسلمت، فلم يرد علي السلام، فقلت في نفسي :مسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يرد سلامه؟ فقال أبو عثمان :مثل هذا يحج ويدع أمه لا يبرها؟ !

---

[1] نفسه: ٢٠١

[2] نفسه: ٢٠٤

قال :فرجعت إلى فرغانة ولزمتها حتى ماتت .ثم قصدت أبا عثمان، فلما دخلت استقبلني وأجلسني، ثم إن الفرغاني لازمه وسأله سياسة دابته، فولاه ذلك حتى مات أبو عثمان)[1].

في هذه الحكاية ذكر عابر للمرأة وهي هنا بدور الأم لكنه لم يذكر دورها بالكامل فقد اكتفى بذكرها فقط ولم يتطرق للحديث عنها كثيراً لكونها أم.

في هذه الحكاية ذكر سريع وعابر للمرأة أيضاً والحكاية هي (سألت امرأة الليث بن سعد سكرجة عسل، فأمر لها بزقٍ من عسل فقيل له في ذلك، فقال :إنها سألت علي قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمنا)[2].

في هذه الحكاية كما قلنا ذكر سريع وعابر للمرأة أي انه ذكرها بشكل بسيط ولم يذهب للكلام فيها كثيراً فقد اكتفى بذكرها سريعاً.

تمثلت الصورة الحسية في هذه الحكاية عن النساء وعن جمالهن وهذه الحكاية هي: (قيل أنّ أبا يزيج البسطامي رأى جماعة من الحور العين في منامه ..فنظر إليهن، فسلب وقته أياماً، ثم إنه رأى في منامه جماعة منهن، فلم يلتفت إليهن وقال :إنكن شواغل.)[3]

في هذه الحكاية التي سنذكرها ذكرت المرأة بصورة بسيطة أي انه ذكرها بشكل عابر وهذه الحكاية هي (ويحكى عن فاطمة أخت أبي علي الروذباري، أنها قالت :لما قرب أجل أخي أبي الروذباري، وكان رأسه في حجري، فتح عينيه، وقال :هذه أبواب السماء

---

[1] القشيرية: ٢٠٩

[2] نفسه: ٢١٧

[3] الرسالة القشيرية:٢٢١

قد فتحت ..وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول لي :يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها)[1]

في هذه الحكاية ذكر سريع وعابر للمرأة وهي أخت أبي الروذباري التي تتحدث عن أخاها حين أتته المنية أي أنها لم تتكلم عن المرأة بشكل واضح فقد ذكرت هنا بصورة بسيطة في هذه الحكاية ثم أكمل الحديث أخاها وكيف أنه قال ÷ذه أبواب السماء قد فتحت وكيف أن هذا القائل يقول له يا أبا علي الروذبادي قد بلغناك المرتبة القصوى وإن لم تردها.

في هذه الحكاية صورة حسية أخرى وهذه الحكاية هي (كانت هناك امرأة كان معها صبي لها ترضعه، إذ مرّ بها شاب جميل الوجه، ذو شارة، فقالت:اللهم اجعل ابني مثل هذا، فقال الصبي :اللهم لا تجعلني مثله)[2].

في هذه الحكاية كما قلنا صورة حسية تحمل في طياتها صورة من صور الجمال وكيف أن هذه المرأة دعت الله أن يجعل ولدها مثل الشاب الجميل.

تمثلت الصورة الحسية في هذه الحكاية وهي(قال أبو هريرة :كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يحكي الغلام وهو يرضع ثم مرت بها أيضاً امرأة ذكروا أنها سرقت، وزنت، وعوقبت، فقالت :اللهم لا تجعل ابني مثل هذا !!فقال: اللهم اجعلني مثلها فقالت له أمه في ذلك، فقال :إن الشاب جبار من الجبابرة، وإن هذه المرأة قيل :إنها زنت ولم تزن، وقيل: سرقت ولم تسرق، وهي تقول :حسبي الله ")[3]

---

[1] نفسه:٢٦٠

[2] الرسالة القشيرية: ٣٠٠

[3] نفسه: ٣٠٢

ظهرت الصورة الحسية في هذه الحكاية عندما تكلمت عن تلك المرأة التي قيل أنها زنت وسرقت وكذلك عوقبت وهذه الأفعال كلها من الفواحش التي لا ترضي الله.

نتائج البحث:

١-استنتجنا من رحلة البحث التي دامت عاماً دراسياً حافلاً بالدرس والبحث والمتابعة، إنّ صورة المرأة في الحكاية الصوفية موضوع مهم وحيوي يستحق الدرس والعناية.

٢- خلص البحث إلى أنّ الصورة تنقسم إلى قسمين (الصورة المعنوية، والصورة الحسية).

٣- تجلت الصورة الحسّية في الحكاية لصوفية في عدة موضوعات وأشكال هي التي ذكرها الراوي في صور الجمال الخارجي والشكل والمظهر أكثر من الجوهر المعنوي.

٤- أما لصورة المعنوية في الحكاية الصوفية فكانت هي الأكثر حضوراً في الحكايات الصوفية فقد تجلت في عدة موضوعات وأشكال روحية وإنسانية وذهنية مبثوثة في الحكايات.

٥- تعلمنا من البحث الشعور بالمسؤولية وأهمية الكتابة المنهجية المرتبة على أساس وأنظمة الكتابة الأكاديمية الرصينة.

٦- تعلمنا من البحث أيضاً أنّ المثابرة والاجتهاد هما اللذان يوصلاننا إلى الهدف المنشود أي هدف كان.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١-أدب الفلاسفة العرب، رياض جبر، دار تموز، ط١، ٢٠١٢.

٢- تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ط٢، ١٩٨١م.

٣- الحواسية في الأشعار الأندلسية، يوسف عيد، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ٢٠١٣.

٤-الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)،تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٥- روض الرياحين، عفيف الدين أبي السعادات، تحقيق: محمد عزت، المكتبة التوقيفية

٦- الصورة الشعرية عند ذي الرمة، عهود عبد الواحد، دار الصفاء، الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٧- الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي، محمد الوالي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٠.

٨- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى موسى صالح، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٤.

٩- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن، دار كنوز المعرفة، لبنان ٢٠١٣.

١٠- صورة المرأة في الخطاب الشعري الجزائري الحديث، عجناك يمينة بشي، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط١ ٢٠١٧.

١١- النثر الصوفي(دراسة خطية تحليلية)، فائز طه عمر، دار الشؤون الثقافية، بغداد٢٠٠٤.